

الشعب العربي الواحد

كان الاستاذ ميشيل قد اجتمع في القاهرة سنة ١٩٥٧، بعدد كبير من الطلبة والمثقفين العرب، بينهم القوميون والماركسيون وغيرهم. وقد عكس هذا الاجتماع التيارات الفكرية والسياسية التي كانت تشغل أذهان المثقفين العرب في تلك الفترة المضطربة والمحفوفة بالأخطار، والتي كانت، في الوقت نفسه، تمثل أعلى درجات الوعي العربي الجماهيري. والمد الشعبي التحرري الواسع ضد الاستعمار كما عكس ذلك الاجتماع، بصورة خاصة، تطلع المثقفين من ابناء القطر المصري لتفهّم القومية العربية وشعاراتها التي كانوا يواجهونها لأول مرة بشكل عقيدة لها منطوق ولها فلسفة، سيما وهم يعيشون مرحلة ثورية ونضالية ضخمة اثناء معركة تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي على مصر. لمسوا من خلالها اهمية هذه الافكار، حتى قبل ان يستوعبوا بشكل علمي.

لذلك، اراد الاستاذ ميشيل ان يأخذ الحديث في ذلك الاجتماع طابع الحوار، فيستمع الى تساؤلاتهم ومن ثم يوضح لهم رأى الحزب فيها. فكان هذا الحديث الشامل.

سؤال: ما رأيكم فيما يقوله البعض من أن القومية ليست إلا شعار النضال العربي المشترك؟

الواقع الذي لا ينكر ان القومية العربية قد استفادت كثيرا من النضال العربي المشترك ضد الاستعمار، ولكن ليس معنى هذا ان القومية هي شعار هذا النضال المشترك، بل الاصح ان يقال ان النضال ضد الاستعمار هو أحد شعارات القومية العربية في المرحلة الحاضرة. وذلك لأن هذه القومية كانت أبدا موجودة، وان اختلفت وضوحا وضعفا، وكانت ابدا تتمتع بالحد الأدنى من المقومات الضرورية التي كونتها اللغة والدين والتراث، وهي الان ترتفع فوق هذه المقومات جميعا لتزداد حياة وانسانية.

سؤال: ما رأيكم في قول البعض بان العالم صائر يوماً إلى وحدة واحدة، تندمج فيها القوميات وتنصهر في بوتقة واحدة؟

ان هذه الوحدة قد تتم، وفي ظروف قد لا تكون بعيدة، اذا قصد بها أن تكون تنظيماً دولياً او مجرد شكل للحكم. ولكن هذا التنظيم لا يكون حياً ولا يمكن أن يستمر اذا قصد به ان يؤلف شخصية واحدة تمحو الشخصيات القومية، بدلا من ان تكون تنسيقاً لها يزيدا تفاعلا وغنى. ولذلك نقول ان القومية باقية خالدة، تظل ذات شخصية حية ومقومات، ولو ان هذه المقومات كما حدث في الماضي، يمكن دائما

أن تتطور كما يمكن ان تتبدل وتتشتت ولكنها على أية حال تظل باقية لانزول .
والواقع ان من الخطأ وضع القومية والانسانية كمراحل ترتيب زمني . ان الانسانية
موجودة وجود القومية ، وهي الان تزداد غنى بتيسر وسائل الاتصال بين البشر، ولكنها
لاتذيب القوميات في وحدة تأتي بعدها، بل تغنيها بتفاعلها المستمر، فبدلا من ان
نقول ان عهد القوميات سائر إلى الزوال ليفسح المجال أمام عهد الانسانية ، يصح ان
نقول اننا قد بدأنا فعلا في عهد «القوميات الانسانية» الذي تصبح فيه القومية انسانية
بتخلصها من تعصبها وانكماشها وعواملها السلبية الاخرى .

سؤال : لماذا يصير حزب البعث على القول «بشعب عربي واحد» ويتجنب دوما
استعمال عبارة «الشعوب العربية»؟

من الخطأ الظن بأن هذه المجموعات من الناس التي تعيش ما بين المحيط
الاطلسي والخليج العربي والتي يجمعها الشعور بوحدة المصير، هي شعوب لكل
منها المقومات التي تميزه بقومية خاصة، الا اذا أخذت كلمة «الشعب» في أصلها
اللغوي الذي يعطيها معنى الفرع في جسم الامة، بمعنى ان له بعض المميزات
المحلية التي يفرضها تنوع الاقاليم والبيئات والظروف في اطار الوحدة العامة . واذ
ذاك نقول الشعب المصري والشعب السوري بما يقارب المعنى الذي نقول به شعب
الاسكندرية وشعب اسيوط ، اما اذا قصدنا بالشعب معناه القومي الكامل فكل هذه
المجموعات أجزاء في شعب واحد هو الشعب العربي .

وان أكثر الاقطار التي تؤلف الوطن العربي اليوم كانت حتى قبل الفتح العربي ،
وبرغم الطابع المحلي لكل منها، تؤلف شخصية حضارية واحدة تتغذى بالتيارات
الحضارية التي تمر بها، فتغتني بها دون أن تفقد مقومات هذه الشخصية . وقد كانت
مهمة الفتح العربي ان زاد شخصيتها هذه قوة ووحدة فظلت حية مستمرة حتى الان ،
ويكمن فيها تراث كل الحضارات التي سبقتها . ونحن لا نحارب تراث الحضارات
المختلفة في قوميتنا ولا نحاول أن نحاربه ، بل بالعكس يهمننا أن نغتني به عربتنا ،
تماما كما يهمننا ان نتفاعل الان مع حضارات الشعوب الاخرى في العالم .
ولو صح ان كل مرحلة حضارية مرت في بلادنا يجب ان تبعث وان يعترف لها

بقومية خاصة لتعددت هذه «القوميات» في كل قطر من أقطارنا، لا في مجموعة هذه الاقطار فحسب. مع ان الواقع ان كلا من هذه الحضارات الفرعونية او الآشورية او الفينيقية قد أدت مهمتها التاريخية في حينها، وما ظل من تراثها له القدرة على الاستمرار فقد ساهم في اغناء القومية العربية وأصبح جزءاً من مقوماتها.

سؤال: ما هو موقفكم من الفئات التي اخذت اخيراً ترفع شعارات القومية العربية؟

ان تبني مختلف الفئات للشعارات العربية التي ينادي بها البعث لدليل على قوة العقيدة القومية، اذ بعد ان كانت تهاجم ويشكك فيها، أثبتت الاحداث عمق تجاوبها مع الشعب العربي، وفرضت نفسها حتى على اولئك الذين لا يؤمنون بها كشيء ثابت ونهائي، وان كانوا يقرونها الآن. وهذا بالطبع كسب يجب أن يلقي منا التشجيع وان يزيدنا ثقة بسلامة عقيدتنا.

على ان نجاح الفكرة القومية وانتشارها هذين لا يعفيان معتنقيها الاصليين من متابعة العمل والنضال لزيادتها توضيحاً وتعميقاً وترسيخاً، لانهم بصورة طبيعية أقدر على ذلك من الجماعات الاخرى. فهذا الفارق بين حمل الفكرة يوم كان حملها ثورة على الواقع وتحدياً له، وبين تبني الفكرة نفسها بعد ان راجت وتم نجاحها، لا بد أن تكون له آثار عملية في المرحلة الحاضرة بالذات وفي المستقبل، حتى عندما نسلم بصدق مقاصد الذين أخذوا يتبنونها، لما يعتور هذا التبني من سطحية واخطاء.

فنحن اذن نرحب بأن ترفع الفئات الاخرى شعاراتنا ولكن على حذر وتحفظ، يضمنان ان تحتفظ الفكرة القومية بأصالتها وبكل طاقتها الثورية. اذ لو اكتفى الناس بتبني نتائج الثورة دون أن يصعدوا إلى أسبابها ومقدماتها وأسسها، لكانت معرضة دوماً للانتكاس أو للتخلي عنها في حال تبدل الظروف. فما نقصده بالحذر والتحفظ انما هو الاصرار والالاحاح، في المجال الفكري العقائدي، على ربط النتائج بالمقدمات لترتفع بالشعارات القومية العربية من مستوى الاستهلاك السياسي إلى مستوى القناعة.

سؤال : ما هي علاقة الوحدة العربية بالقومية العربية؟

ان الوحدة العربية ليست هي القومية العربية كما يشعر بذلك التعبير المتداول الان، بل هي جزء من محتوى هذه القومية في مرحلة من المراحل، فالنظرية القومية للفكرة العربية في هذه المرحلة تقوم على تحقيق الاهداف الثورية الثلاثة: الحرية والوحدة والاشتراكية. النظرية القومية تنشأ في مرحلة لتحقيق أشياء مفقودة في حياة الامة العربية في هذه المرحلة، اما القومية العربية نفسها فهي أبدا موجودة قائمة. . . ووجودها هو الذي يسمح بتحقيق الحرية والاشتراكية والوحدة.

ولقد كانت الوحدة مطلبا للامة العربية منذ أن طرأت عليها التجزئة، فالبعث لم يخلق مطلب او هدف الوحدة ولكنه اعطاه مفهوما جديدا جعله قابلا للتحقيق. فالوحدة في نظر البعث فكرة ثورية وعمل ثوري، خلافا للمفهوم الذي كان سائدا والذي لم تزل آثاره ممتدة إلى اليوم والذي يعني مجرد الجمع والربط بين أجزاء الوطن العربي، أما المفهوم الثوري فيعني خلق التفكير والنضال المناقضين لحالة التجزئة ولما أورثته واصطنعته التجزئة من عقلية وعواطف ومصالح وأوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية داخل كل قطر من أقطار الامة.

وهكذا تتصل الوحدة، بمفهومها الثوري، بالهدفين الثوريين الآخرين: الحرية والاشتراكية، وتتفاعل معهما وتغذيهما وتتغذى منهما. وهكذا تدخل الوحدة لأول مرة منذ أجيال في صميم حياة الشعب العربي وفي صميم نضاله من أجل حريته واستقلاله ومن أجل حقوقه السياسية وقوته اليومي والشروط الاقتصادية والاجتماعية المحققة لكرامته الانسانية ولمهمته القومية.

فالوحدة العربية هي وحدة الشعب العربي، والنضال في سبيلها نضال شعبي، وصورته المقبلة تولد وتتحدد بما يحمل نضال الجماهير العربية من تجارب ومعانٍ تحررية انسانية.

سؤال : ما اثر الوحدة في الخصائص الاقليمية لكل قطر عربي؟

الوحدة ثورة تأتي لتزيل التشويه وتغير الواقع وتكشف عن الاعماق وتطلق القوى الحبيسة والنظرة السليمة. والخصائص الاقليمية منها السليم ومنها الزائف السليبي

الذي ليس هو الا نتيجة انعدام الوحدة. فليس كل شيء في واقعنا جديرا بالبقاء لمجرد أنه موجود. أما السليم الايجابي فهو الذي يغني الوحدة ويألف معها بل هو شرط لوجودها. والغريب أن تعطى الوحدة العالمية من الحقوق ما ينكر على الوحدة القومية. فالوحدة العالمية هي أيضا تفترض التخلص من الخصائص السلبية الزائفة بعملية تقريب وتوحيد وتوجيه، كما انها تتسع للخصائص السليمة وتغني بها. والاغرب من كل شيء أن نسمع استنكارا للعمومية ممن أوصلوا العمومية إلى نهايتها المجردة، وأن نراهم يخافون على الخصائص الصغيرة وهم أتباع النظرية التي تضرب صفحا حتى عن الخصائص الضخمة الجسيمة. الا يكون هذا لكي يبقى الكيان القومي ضعيفا حتى يسهل غزوه بفكرة الاممية الطبقية، وهل يكون اذن هذا الحرص على الخصائص الصغيرة بريئا ومقصودا لذاته؟

اذن، فلا يجوز أن نتصور الوحدة كعملية جمع منفعل، لأنها ليست وحدة لأجزاء سليمة، ولا نتيجة لتجزئة حديثة طارئة. انها فاعلة خلاقية فيما بين الاجزاء وفي داخل كل جزء، وهي منبعثة من داخل كل جزء كضرورة حيوية لهذا الجزء نفسه، قبل أن تكون مطروحة بشكل علاقة بين الاجزاء للتعاون والتضامن. الوحدة لا تفقد الجزء شخصيته، بل تؤكد وتعمقها وتعطيها حقيقتها وأصالتها وابداعها عندما تضع الجزء في مكانة الحي كجزء من كل.

سؤال: ما موقف «البعث» من اسرائيل؟

اننا نعتبر اسرائيل قاعدة للاستعمار دون شك، فهو الذي خلقها ويدافع عنها ويغذيها لهذه الغاية، ولكن هذا لا يستنفد كل المشكلة، فالمشكلة هي هذا وأكثر. فاسرائيل هي أيضا تعبير عن قوة الصهيونية العالمية، التي تستطيع أن تسخر الاستعمار. الاستعمار يسخر اسرائيل، ولكن الصهيونية العالمية تستطيع أن تسخر الاستعمار نفسه، فتوصل العرب إلى القضاء على الاستعمار يحل أضخم جزء من المشكلة ولكن لا يحلها كلها. وبالأصح، هذا التوصل إلى القضاء على الاستعمار يشترط حتى يتحقق ان نحسب حسابا لقوة الصهيونية العالمية، وبالتالي فان نضالا آخر يجب أن يرافق نضالنا ضد الاستعمار، هو نضالنا ضد الصهيونية. والصهيونية

العالمية بما لها من نفوذ قوي استطاعت أن تسخر بالاضافة إلى القوة الاستعمارية الطبقات الشعبية نفسها في كثير من البلاد، مستغلة الوضع التاريخي الخاص لوجود يهود في أوروبا تعرضوا في فترات كثيرة للاضطهاد الديني والعنصري، ومستغلة المستوى الحديث الراقي لدولة اسرائيل من حيث الكفاءة الفنية، وبالتالي تخلف المجتمع العربي وطابعه الرجعي، لتجعل من اسرائيل رائدة التقدم في هذه المنطقة من العالم وتجربة جديدة لحضارة الغرب في هذا الجزء من الشرق، تجربة تستحق الرعاية والتشجيع.

ووجود اسرائيل واقع في مرحلتنا القومية الحاضرة، يجب ان ندخله في حسابنا وأن نجد له الحل الكامل دون ان نتهرب من بعض المصاعب، ودون أن نتهيب رؤية العلاقة العميقة التي تصل وجود اسرائيل بمشكلاتنا القومية من جميع نواحيها، أي فيما يتعلق بأسس نظامنا الاقتصادي واتجاهنا الاجتماعي وتربيتنا السياسية ووجدتنا القومية، وأن نرى بوضوح وجرأة ان كل تلكؤ في مواجهة مشاكلنا السياسية ووجدتنا القومية، بتفكير وأسلوب ثوريين انقلابيين، قد لا يؤخر حل مشكلة اسرائيل فحسب، بل يسمح بتدعيم كيانها إلى حد يصعب او يتعذر معه في المستقبل التخلص من هذا الخطر. فاذا عالجتنا مشكلة اسرائيل على ضوء نظرتنا العربية الانقلابية، التي ترتبط فيها صورة المجتمع العربي المقبل بصورة العالم او المجتمع الدولي والانساني المقبل الذي يسهم العرب في تحقيقه، نصل إلى النتيجة الآتية:

ان ما يشكل خطراً على الأمة العربية هو كيان اسرائيل كدولة، لا وجود أقلية يهودية في الوطن العربي، وأن التعجيل في النضال التحرري والوحدوي وتحقيق خطوات سريعة وجدية في هذين المجالين يقطع الطريق على أطماع الاستعمار في استخدام اسرائيل، وأطماع الصهيونية العالمية في استخدام الاستعمار للمحافظة على اسرائيل وتوسيعها، والتعجيل في النضال الاشتراكي العربي يضعف مخاوف الأقلية اليهودية من تعذر تعايشها السلمي العادل مع العرب، كما يزيل أو يضعف سلاح الدعاية الصهيونية العالمية في استدراج عطف الشعوب الحرة والطبقات الشعبية على اسرائيل كدولة يراد لها أن تكون ملجأ لشعب مضطهد ولشعب راق

متقدم قد يحمل بذور التقدم إلى الاقطار المجاورة . وأخيرا ، فان اصرار العرب على اتجاههم الانساني في المجال الدولي ، وتعاونهم مع الشعوب الاخرى في سبيل توطيد السلم والتقدم الاشتراكي لجميع الشعوب وسياسة الحياد الايجابي ، كل هذا يساهم في ازالة أسباب التعصب العنصري والديني ويساهم إلى حد ما في حل هذه المشكلة .

سؤال : ما هي العلاقة بين اسرائيل والاستعمار؟

لم يكن وجود الصهيونية كافيا لكي ينجح الصهيونيون في استملاك فلسطين واقامة دولة فيها . والحركة الصهيونية في البدء لم يكن هدفها فلسطين . كانت تفتش عن أي أرض في العالم تقيم عليها وطنيا قوميا يهوديا . ولكن الحركة الصهيونية من جهة ومصالحة الاستعمار من جهة . . . وتلاقي المصلحتين هو الذي ساعد على خلق هذه الدولة . والمفهوم بداهة بأن مساعدة الدول الاستعمارية للحركة الصهيونية على تحقيق أغراضها في فلسطين يقصد منه الحيلولة دون الوحدة العربية ، والحيلولة دون قوة الامة العربية . ان استكمال هذه القوة يشكل خطرا على وجود الاستعمار . فعندما يتمكن اليهود من اقامة دولة في قلب البلاد العربية تساعدها الدول الاستعمارية باستمرار ، يشغل العرب بهذا العدو ويندلون قسما كبيرا من جهودهم في دفع خطر هذا العدو وفي الاستعداد لمواجهة خطره ، كما ان نفسيتهم وتفكيرهم يمكن أن يشغل عن الاستعمار بهذا العدو الظاهر المقيم . وتعرفون كيف ان بريطانيا نفسها كانت ، وأحسب أنها مازالت الى اليوم وإلى الغد ، تحاول ان تظهر بوجهين وأن تلعب على الحبلين ، فهي التي أوجدت اسرائيل وتدعو الى مقاومة اسرائيل وتتكلم كأنها عربية قحطانية تغار على العروبة ، وتتحالف مع بعض الدول العربية بحجة الدفاع ضد الخطر الاسرائيلي او بحجة التخلص من اسرائيل . فلم نكن مخطئين اذن عندما وضعنا دوما العدو الاول هو الاستعمار ، واعتبرنا اسرائيل نتيجة للاستعمار وحليفة له وريبية له ، وان مصيرها مرتبط بمصيره . ولكن لا حاجة إلى تنبيهكم بأن هذا لايجوز ان يؤخذ بالشكل الحرفي وأن تظنوا أن اسرائيل تأتمر بالاستعمار بكل شيء ، هي حليفة للاستعمار ولكنها ليست أداة بالمعنى العادي . . . لها كيائها ، ولها خطتها ولها

مصالحها ولها قوتها وذكاؤها وسياستها. اذن هي أحيانا تورط الدول الاستعمارية، وأحيانا أخرى الدول الاستعمارية تدفعها.

أشرت إلى هذا لكي أبين لكم أنها تضليل الدعايات الاستعمارية، ودعايات عملاء الاستعمار والفئات الرجعية التي تتبنى منطق الاستعمار، لأنها أصبحت تعي صلتها بالاستعمار وأن مصلحتها رهن ببقاء الاستعمار. ففي هذه الأشهر الأخيرة فقط، اذا اكتفينا بها، كنا نرى صحفا كثيرة في هذا البلد وفي بلدان عربية أخرى مسيرة مباشرة أو بصورة غير مباشرة من الاستعمار، ومن الانكليز بصورة خاصة، كلما قامت حركة شعبية، كلما قام نضال في بلاد العرب في وجه الاستعمار الغربي، قامت هذه الدعايات وهذه الفئاد. والاوساط تصرح بأنكم نسيتم العدو الاول للعرب، اسرائيل، وان كل الانتباه يجب ان يركز عليها وأن كل الجهود يجب ان تصرف لمقاومتها. وتعرفون ايضا بأنهم حاولوا كثيرا ان يظهروا حلف بغداد بأن مبرره الاول والاكبر أنه وجد ليساعد على محو اسرائيل وعلى التخلص منها، وان بواسطته سيحصل العراق على الاسلحة، وتقوى الجيوش العربية. وكان هذا تناقضا مفضوحا، واستمروا الى الايام الاخيرة في هذه الدعاية حتى ان الاوساط الانهزامية في لبنان، وهي معروفة بجفائها لكل ماهو عربي وبعقليتها الطائفية المتعصبة، وبصلاتها المشبوهة مع دول الغرب، قد شاركت فيها. عندما نشأت أزمة قناة السويس سمعنا أصوات هذه الفئات تذوب غيرة على فلسطين وتتوعد اسرائيل وتكثر من الكلام والكتابة عن اسرائيل وخطرها على العرب والعروبة، لكي تلهي الناس عن الخطر الحقيقي وعن موضوع الساعة.

سؤال: ما هو موقفكم من الاحلاف ومبدأ ايزنهاور؟

قبل ظهور السياسة التحررية، كان منطق السياسيين العرب في موضوع الاحلاف لا يعترض الا على عدم تسليم الغرب بمطالب العرب القومية، أي انه كان يقبل بمبدأ الاحلاف قبولاً مشروطاً بتحقيق الاهداف القومية. وكان هذا منطقاً متناقضاً متهافتاً، اذ لو كانت دول الغرب مستعدة للتسليم بهذه الاهداف ولتحقيقها أي مستعدة للتنازل عن الاستعمار، لتغير الوضع العالمي تغيراً أساسياً أثر بصورة

عميقة على موقف المعسكر الشرقي ، ولما عاد ثمة مبرر للأحلاف .

أما نحن فنرى في هذه الاحلاف عدوانا جديدا على العرب ، عدوانا مزدوجا : لأنها أولا استمرار لاستعمار العرب ، يثبت قبضته عليهم ويعاود احتلال ما تحرر من أقطارهم وينهب خيراتها ، ويعرقل وحدتها ونهضتها . ولأنها ثانيا تتحكم برأي العرب في السياسة الدولية وفي النظرة الى مستقبل العالم ، اذ تدعوهم للتحالف مع الغرب ضد عدو مشترك ، مع أنه ليس من شيء يبرر اقتداء العرب بالغرب في النظر الى المعسكر الشرقي وان كانوا لا يقبلون الشيوعية . وهكذا ينبع رفضنا للأحلاف من نظرة أعمق وأسلم وأكثر ايجابية ، فهو يشير دون مواربة الى أن عدونا الحقيقي هو الاستعمار ، ويقضي بتركيز كل الجهود لمحاربة الاحلاف . فالاستعمار سبب الاحلاف وليس عاقبة بيننا وبينها ، وبصورة أخرى نقول ان الاحلاف هي الاستعمار ذاته لانها في حقيقتها لا تتوخى تحقيق شيء بعد مرحلة الاستعمار او شيء يتجاوز علاقتنا مع الاستعمار الى هدف عالمي انساني .

أما النظرة العالمية الانسانية فهي في موقف العرب من الاحلاف : انهم في حرصهم على حريتهم واستقلالهم ووحدتهم ، ونضالهم في سبيل هذه الاهداف ، انما ينظرون الى مستقبل العالم من خلال نظرتهم الى مستقبلهم هم كما يريدونه . ففي عالم يكون فيه العرب أمة حرة مستقلة موحدة ، ومثلهم سواهم من الشعوب المستضعفة ، لن يبقى استعمار ولن تبقى معسكرات وبالتالي لن تكون ثمة حاجة الى الاحلاف .

أما مبدأ ايزنهاور فهو يمثل ذروة المنطق الاستعماري . انه الخطوة الاخيرة التي كان على الاستعمار أن يخطوها ليصل الى الصيغة المعبرة أقوى تعبير عن تناقضه وتعصبه وقرب انهياره . فالاستعمار الذي هو نقيض المبادئ يصل اليوم لتسمية نفسه باسم «مبدأ» . والغرب الذي كانت أقوى حججه على الشيوعية انه لم يجارها في المذهبية المتعصبة يضطر اليوم لتفادي انهياره ، ان يلبس نفس اللباس المذهبي المتعصب فيسمي نفسه العالم الحر ويفرض على الدول والشعوب الضعيفة الاستغلال والتبعية باسم الدفاع عن الحرية ، فهو يفضح ما هية هذه الحرية كما

يفهمها: حرية السادة الذين يجب ان يكون لهم عبيد، حرية الغرب الذي لا يستطيع أن يبقى حرا الا اذا ظل جزء كبير من العالم مستعبدا له .

فالحرية التي يأتي مشروع ايزنهاور ليغري العرب بها ليست الا استمرارا وتضخيما للاستعمار الذي عرفوه عشرات السنين : فهو محاربة لكل نزعة تقدمية، وتشجيع للرجعية وللمجتمع الطبقي الفاسد، وتعميق للانقسام بين الاقطار العربية وفي داخلها، بالفتن والمؤامرات، وتقوية لاسرائيل على حساب العرب .

سؤال : ما معنى القول بأن اشتراكيتنا عربية؟

يمكن القول بأن هذا الوصف للاشتراكية بأنها عربية يتضمن شيئين :

الاول: بانها اشتراكية ملائمة لظروف وحاجات المجتمع العربي . وقد كنا بحاجة الى الالحاق على هذه الناحية، رغم أنها تبدو اليوم بديهية . متى عرفتم ان الاشتراكية الماركسية، ام تكن تقبل فكرة التنوع مطلقا بل تعتبر ان الاشتراكية واحدة، وكانت وما زالت تسمى نفسها اشتراكية علمية وتقصد بذلك ان القوانين العلمية لا تتغير بتغير الزمان والمكان وأنها واحدة يصح تطبيقها في كل الحالات . ولكن الماركسية هي التي تراجعت عن هذا الادعاء وغدت أكثر مرونة .

والثاني : (وهو المعنى الذي لا يتبادر الى الذهن مباشرة وقد لا يفتن اليه كثيرا) هو ان اشتراكيتنا مرتبطة ارتباطا وثيقا بقوميتنا العربية . فهي في تفاعل مع هذه القومية وهي جزء اصيل منها، وبالتالي ليست شيئا خارجا عنها وليست شيئا اعلى منها يفرض نفسه على القومية العربية، وتضطر هذه القومية إلى ان تتكيف بما يناسب الاشتراكية . وأحسبكم تفتنون الى الرأي المعاكس الذي يقول بأن الاشتراكية هي الاصل وكل الاشياء الاخرى تنفرع عنها وتنفعل بها . فنحن قد لانصل إلى حد القول بأن القومية هي الاصل والاشتراكية هي الفرع، ولو أن هذا جائز نوعا ما اذا لم يكن بد من ايجاد تسلسل في الاهمية والقيمة، ولكن الواقع أن تفكير الحزب كان حريصا على ألا يقيم مثل هذا التفريق المصطنع، فنظرة الحزب تحرص دائما على أن تكون نظرة حية .

سؤال : ماهي علاقة الاشتراكية بالقومية العربية؟

قلنا دائما ان الاشتراكية ليست طارئة على القومية العربية، فالقومية العربية عندما تعي ذاتها وعيا عميقاً وصحيحاً، عندما تنهياً الشروط لكي تنضج النضج الصحيح وتعبر عن نفسها، تجد ان الاشتراكية شيء أصيل فيها.

واعتقد ان هذا المعنى يختلف عن الفهم الذائع الذي يريد ان يقصر الصفة العربية لاشتراكتنا او الصفة القومية لاية اشتراكية على كونها فقط اشتراكية متأقلمة، أي خاضعة لظروف الزمان والمكان. هذا يعني ان لب الاشتراكية واحد ولا يتغير، ولكن هناك تعديلات ثانوية تطرأ عليها عندما تتغير مجالات تطبيقها. هذا المفهوم هو الذي بدأت الماركسية تتسع له وتنادي به، ولكن هذا داخل في تفكير البعث منذ البدء وهو ليس كل شيء فيه.

وأعتقد أن الناحية الثانية هي المميّزة لتفكير البعث: ان هناك بين قوميتنا واشتراكتنا ترادفاً وتمازجاً وتفاعلاً وانه ليس هناك قومية واشتراكية، نجمع بينهما لنصل إلى صيغة جديدة للقومية، وانما هناك قومية هي اشتراكية بمجرد وجودها، وانها اذا لم تكن اشتراكية فأنها تفقد وجودها ذاته. كذلك فنحن بتخصيصنا ان اشتراكتنا هي عربية، من صميم ومن صلب قوميتنا، نتيح للامة العربية ان تتمكن من الاهتداء بحرية وقناعة وبدون ضغط وارهاب من الخارج، إلى نظرتها الخاصة إلى الانسان والاخلاق وإلى التاريخ والسياسة وإلى شتى مجالات الفكر والعمل.

ثم انه ترتب على نظرتنا القومية واعتبار العرب أمة واحدة لاتتجزأ والبلاد العربية وطناً واحداً، أن كانت دعوتنا دوماً إلى اشتراكتنا بأنها الاشتراكية التي تحتاج إلى نضال الشعب العربي بكاملة لتتحقق، وتحتاج إلى الوطن العربي بكامله كمجال للتطبيق. فلم نؤمن في يوم من الايام بإمكان تحقيق اشتراكية صحيحة في قطر واحد، وان كنا نعمل دوماً للتمهيد لهذه الاشتراكية بتحقيق اصلاحات في كل قطر وذلك أن بعض الاقطار العربية على الاقل ليس فيه الشروط الاقتصادية الكافية لقيام اشتراكية سليمة. في حين أن الحركة الشيوعية لانها لم تنظر إلى الامة العربية كوحدة فأنها وقعت، نظرياً على الاقل، في تناقض عندما تعد الناس باقامة نظام اشتراكي

في قطر صغير ليس فيه صناعة ولا مقومات اقتصادية كافية. كذلك فان الشيوعية تقع في التناقض، نتيجة عدم ايمانها بالقومية وبوحدة الامة، حينما تربط أحياناً بين النضال في قطر عربي والنضال العالمي، قافزة من فوق نضال الاقطار العربية الاخرى.

واشراكيتنا التي هي على أساس عربي موحد، حافظت دوماً على اتجاهها الانقلابي لانها كانت دائماً تستند إلى واقع الامة العربية بمجموعها، وهو واقع ثوري انقلابي من الطراز الاول، ولكن اذا أهمل اعتبار وحدة الامة فقد لا تكون الاشتراكية ثورية دائماً بالنسبة إلى جميع الاقطار العربية، اذا ان من بينها أقطارا في حالة او شروط اجتماعية واقتصادية قد يظن بأنها لا تستدعي الانقلاب وانما يكفيها الاصلاح، فمثل هذه الاقطار قد يستفيد أحياناً من وضع التجزئة الذي يدعمه الاستعمار والطبقة الرجعية فيحصل على مكاسب اقتصادية مصطنعة تضعف من حاجته إلى الثورة الاشتراكية، أما حركتنا فهي الوحيدة التي تكشف هذا الزيف والاصطناع لانها تنظر إلى هذه الأقطار كأجزاء في جسم واحد، وبالتالي تطالب لها كلها باشتراكية واحدة ثورية.

سؤال هل تأخذ حركة البعث بسياسة المراحل؟

ان حركتنا تأخذ بسياسة المراحل ولكنها تفهمها على أنها الحاح على ناحية أكثر من غيرها، وليست الاقتصار على ناحية واحدة واهمال النواحي الاخرى، فلا تقتصر على مقاومة الاستعمار فحسب، بل نعمل ايضاً للاشتراكية والوحدة. قد تكون الظروف مهيأة لمحاربة الاستعمار أكثر من أي عمل آخر. ولكن اقتصرنا على محاربة الاستعمار فحسب يطعن النضال نفسه.

فنحن اذن لانفصل فصلاً تاماً بين مرحلة نضال وطني واجتماعي ووحيدوي وانما نمشي في هذه المجالات كلها في آن واحد، ولكن نلح فقط ونركز على ناحية أو أكثر حسب الظروف، ولانؤمن بإمكان تحقيق أي نجاح في أحد هذه المجالات اذا لم يكن مدعوماً بنجاح وتقدم في المجالات الاخرى. فنحن لم نسكت في هذا الظروف كما لم نسكت في الماضي عن المطالب الاشتراكية او المقربة من

الاشتراكية، لعلنا بأن التحرر من الاستعمار دون تحقيق اصلاحات اجتماعية تقوي نضال الجبهة الشعبية وتهيء لها شروطا أنسب لمتابعة النضال، يبقى شيئا ضعيفا ومهددا دوما بالانهيار او الانتكاس، وكذلك الشأن في نضالنا من أجل الوحدة. وبكلمة مختصرة فان حركتنا لاتحتاج إلى أن تضحى بأي هدف رئيسي من أهدافنا الانقلابية في مرحلة من المراحل، في سبيل الاهداف الاخرى، فهي دوما قادرة على أن تناضل من أجل جميع أهدافها.

كذلك فان المراحل في نظرنا هي في التطبيق لا في الوعي، فالوعي لايجزأ، لذلك كان على الشعب العربي أن يدرك منذ ظهور الحركة ماهي حقيقة اوضاعه، وماهي العلاجات الحاسمة لها، ومايريد أن يصل اليه في آخر النضال. فاذن في الوعي لانتبع سياسة التكتم في الاهداف التي لم يحن الوقت لتحقيقها.

عام ١٩٥٧